القصاص .. هل يكون هو الحل الأخير لمواجهة الإهانات المُتعمدة للقرآن الكريم وللرسول صلى الله عليه وسلم ؟!

محمد سعد زغلول سالم

الخميس ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٠

تزايدت وتتزايد بوَتيرة مُتصاعِدة فى السنين بل وفى العقود الأخيرة الحملة الإرهابية الصليبية المُعاصِرَة على الإسلام وعلى المسلمين والتى قد تكون آخر ما فى جُعْبَة الغرب الصليبى ومن يُشايعونه من المنافقين فى ديار الإسلام من سِهامٍ يصوبونها نحوه سترتد إلى صدورهم مثلما كان الحال مع كل ما سبَقها من حملات. فالحملة الصليبية الأولى على الإسلام والمسلمين لم تكن تتمثل فى الحروب الصليبية التى نعرفها والتى كانت ترْمى إلى إسترداد مقدسات المسيحيين فى الشرق من بين أيادى المسلمين الذين كانوا يحفظونها ويحترمون مكانتها .. بل تمثلت الحرب الصليبية الأولى فى محاولات التشكيك فى القرآن الكريم وكان مآلُها الخُسران المبين. ثم تمثلت الحرب الصليبية الثانية فى محاولات إنكار حُجية السنة النبوية والحديث الصحيح وكان مصيرُها كسابقتِها إلى زوالْ. وتمثلت الحرب الصليبية الثالثة والتى لا نزال نرَى معاركها قائمةً أمام أعيننا فى محاولات هَدْم اللغة العربية وإقصائها عن مكانتِها فى عقول ونفوس وقلوب المسلمين حتى تنقطع الصلة بينهم وبينَ دينهم .. وهى حربٌ ضروس نشهد آثارِها الوخيمَة فى سيادة اللغات الأجنبية وإنتشارها بغير توقف فى ديار المسلمين بديلاً عن لغتهم التى تربطهم بقرآنهم ودينهم ولكنَّ مصيرَها لن يختلف عن سابقتَيْها مهما كانت نتائج جولاتها الأولى لأنَّ الله تكَّفلَ بحفظ اللغة التى أنزل بها قرآنه والتى سوف تظَّلُّ كذلك إلى يوم الدين. وها نحنُ نشهدُ الآن ملامحَ الحملة الصليبية الرابعة والأخيرة المُتمثلة فى الإهانات والإساءات المتعمدة للقرآن الكريم وللرسول صلى الله عليه وسلم ظناً مِمَّن يخططون لها ويرفعون لواءها أنَّ مثلَ هذه الإهانات والإساءات كفيلة بتقليل قدرهِما فى نفوس المسلمين المؤمنين.

والمُتأمِّل فى وقائع وأحداث هذه الحملة الصليبية المُعاصِرَة يشهد توافقاً وتماثُلاً يصل إلى حد الإنطباق بين من يخططون لها من صليبيى الغرب ومن يشاركون فيها من المسلمين المنافقين الذين يلتحفون برداء الإسلام وهم يُضْمِرون خلافَ ما يُظَّهِرون أفكاراً ومشاعرَ يروجون لها ويدافعون عنها عندما يضطرون للإفصاح عنها بأنها تتوافق كما يقولون مع شعارات العصر الجديد التى حلت محل الشعارات القديمة التى لم تُثمِر شيئاً فى مواجهة الإسلام كشعارات ضرورة تجديد الفكر الدينى وتحديثه بل وتغيير ما لا يتوافق منه مع متطلبات الحضارة الإنسانية إذا لزم الأمر .. وشعارات التسامح والأخوة الإنسانية التى يجب أن تعلوا فوق أى إنتماءات دينية أو عقائدية .. وشعارات التسامُحْ وقبول الآخر واللجوء إلى التحاوُر معَه لتبيين خطئه فى ما يقترفه بإهانة القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم لأن الفكر يواجَه بالفكر وليس بالقتل ولأن حرية التعبير هى حق مقدس للإنسان وعلى من يستشعر أنَّ إهانةً أو إساءةً قد لحقته أو لحقت بدينه أو قرآنه أو رسوله من جَّراء مُمارسة هذا الحق المقدس فى التعبير أنْ يلجأ للحوار والدعوة إلى الموعظة الحسنة أو إلى القضاء لإنصافه !!!.

ولا يَسَعْ المرؤ حتى وإن لم يكُن مسلماً سِوَى أنْ يدهش لمنطق البجاحة والوقاحة التى يتحجَّج بها هؤلاء الهَمَجْ للدفاع عن سلوكٍ مُنْحط أقل ما يوصَف به أنه سلوك دنىء وهابط ومُشينْ يهدف إلى الإهانة المقصودة والمُتعمدة ولا علاقة له بحرية الفكر أو التعبير. فنقدُ الإسلام نقداً موضوعياً أمرٌ متاح للجميع ولا إعتراض لأى مسلم عليه .. بل إنَّ إبداء الرأى وإنتقاد ما يحْويه الإسلام من شرائع كالحدود أو المواريث أو النكاح مثلاً بحجة أنها لا تتوافق مع معايير العدل الإنسانى أو الرحمة أو المَحبة أو التحضُرْ .. الخ الخ .. أيضاً أمرٌ متاح للجميع من غير المسلمين ولا إعتراض عليه لأنه داخل فى حدود حرية التعبير عن الرأى فى ما يتعرض له من موضوعات. وحتى ما يقوم به الملحدون بعَرْض ما يؤمنون به من جَهالاتٍ وضلالاتٍ عن الإسلام تحديداً من إنكار لوجود الله وإنكار لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً أمرٌ داخل فى نطاق حرية التعبير عن الرأى لأنَّ الله سمحَ بالكفر به لمن يشاءُ من خَلْقِه ولا يستطيع مسلم الإعتراض على هذا الأمر ولكنه يستطيع مجادلتهم بالمنطق والعلم والحُسنى والموعظة الحسنة إذا سمَحَت بذلك الظروف. ولذا فإنَّ تجاهُل كُلُ هذا المجال الواسع المتاح لمن يريد نقدَ الإسلام عقيدة أو شريعة أو عبادة أو معاملة بدافع حرية التعبير عن الرأى بغير أنْ يلقى عقاباً أو يتعرض لهجوم أو ينتهى بقصاص واللجوء إلى وسائل دنيئةٍ كإهانة الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرها فى وسائل إعلام والترويج لها أو حَرْق القرآن الكريم فى إحتفالاتٍ ساذجة إنما يعبر عن كراهية عَمْياء وحِقدٍ دفين وعُنصرية هَمَجية وهى مشاعر لا يُجْدِى معها إقناعٌ بالعلم أو المنطق أو حوارٌ بالحُسْنى والموعظة الحَسَنة أو بغيرها من الوسائل السِلْمية وهى تستحق القصاص لأنها داخلة تحت مظلة الإفساد فى الأرض لأنَّ من يخططون لها ويُشعلون أوارَها وينفخون كيرِها بغير توقف إنما يبغون مِن وراءِ ذلك التقليلَ والتحقير والإزدراء لكل ما يتعلق بالإسلام من رموز طامعين فى أنْ تشّبَّ الأجيالُ المسلمة الناشئة وهى تسمع وترى مشاهدَ التقليل والإحتقار والإزدراء لدينها وعقيدتها ورسولها الكريم وقد صارت أموراً عادية يُعَبِّر بها من ينشرونها عن آرائهم عن ممارسَتهم للحق فى التعبير مثلما فعلوا وأفسَدوا عقائد أجيالٍ وأجيالْ من المسيحيين فى الغرب حتى صارت السخرية من السيد المسيح عليه السلام والإستهزاء به والتقليل من شأنه أمراً مألوفاً لديهم لا عقاب عليه وهو سلوك دنىء وحقير يطمعون فى أنْ تشّبَّ على مثالِه أجيالُ المسلمين المُعاصرين والناشئين فيتزعزع إيمانهم وتضطرب عقائدهم ويفقدوا صلتهم بدينهم وبرسولهم بعد حين.

ولذا فإن القول بأنَّ الإسلام لا يسمح بحرية الفكر والمناقشة قولٌ غريب لم يَقل به حتى أعْدَى أعدائه من غير المسلمين ويُلْقَى على عواهِنه بغير دليل أو قرينة وهو أيضاً دليلُ ُ مؤسف على تجاهل الفرق بين حرية التفكير وحرية الرأى وحرية التعبير التى يتضمنها الإسلام والتى تتضِّح فى سياق المئات من آيات القرآن الكريم وبين الحق فى حرية التدَّنى الذَوْقى والإنحِطاط السلوكى والخواء الأخلاقى بإهانة رموز لها مكانتها فى قلوب مئات الملايين من المسلمين. كما أنَّ النصْح بتجاهل الباطِل وإماتتِه بالسكوت عنه هو نصحٌ لا يستقيم مع الأمر بالمعروف والتصَّدى للمنكر والنهْى عنه. فمعرفة ومتابعَة كُلٍّ ما يقوله أعداءُ الإسلام والمسلمين من أكاذيب وإفتراءات وضلالات يُلْصِقونها به وبقرآنه وبرسوله وبشرائعه وتعاليمه أمرٌ واجب مثلما أنَّ نشرَها على الملأ مصحوبةً بما يُفَنِّدُها ويكشف زيفِها وكذبها والدوافع الخبيثة التى تكْمُن وراءها أمرٌ واجبٌ أيضاً حتى

تعرفَ الأجيالُ المعاصِرَة والناشئة من المسلمين كيفية التفرقة بين الحقيقة والصواب وبين الزيف والكذب فى كُلِّ ما يسمعونه أو يشاهدونه أو يقرأونه. ومقولة (أميتوا الباطل بهَجْره) هى حقاً من حِكَم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولكِنَّ من يذكرها لا يذكُر بقيتها وهى (إنَّ لله عباداً يميتون الباطلَ بهجره ويُحْيون الحقَّ بذكْره) .. فإحياءُ الحق بتفنيد كُلِّ أكاذيب وإفتراءات وجهالات وضلالات أعداء الإسلام والمسلمين سلاحُ أمْضَى من تجاهُل ما يُقال وإلا فسوف ينتشر الباطل وقد يُصْبح مع مرور الوقت بغير التصَّدى له بالتكذيب والتفنيد هو الحق مثلما آلَ إليه مآلُ الكثير من قضايا الإسلام الذى صارَ مرادفاً للإرهاب وقضايا المسلمين الذين صاروا إرهابيين. ولبالِغ الحسرة والأسَى فما عاد يتصَّدى لهذا الواجب المفروض على كُلِّ مسلم ويحمل عبءَ القيام به سوى آحادُ من المسلمين الذين لا يملكون سوى الدعوة والتنبيه والتحذير بعدما إستكان رؤساؤهم وملوكهم وأمراؤهم وحكامهم إلى ذل الخنوع والخضوع لمن يُهينونَ القرآنَ الكريم والرسولَ صلى الله عليه وسلم ويتبجحون علانيةً بأنهم لن يكُفوا عن ذلك لأنهم إنما يمارسون حقهم فى التعبير بغير أنْ يتصَّدى للرد عليهم أحدُ مِمَّن إسْتُئمِنوا على الأمانة التى وُسِدَت إليهم فأضاعوها وضيعوها .. عليهم من الله ما يستحقون من الغضب واللعنة والعذاب.

وإذا كان عقلاءُ المسلمين لا يُقيمون وَزناً لما يقوله أو يفعله من هُم على شاكلة الرئيس الفرنسى الحالى إيمانويل ماكرون من حُثالات البشر الذين يفتقرون إلى أدنى مراتب الذوق والأخلاق والإدراك من إهاناتٍ للقرآن الكريم ومن بذاءاتٍ فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم إتباعاً لنهْج القرآن الكريم المُتمثل فى الآية الكريمة (وإذا خاطَبَهُم الجاهلون قالوا سلاما) .. إلا أنه يتوجَّب عليهم التحذير والتنبيه والنُصْح لجموع المسلمين برَّد الصاع صاعَيْن وبجميع الوسائل المُمكنة وإلا فسوف يتحقق المرادُ الشيطانى الخبيث القبيح لهؤلاء المتطاولين وهو تعْويد الأجيال الصغيرة والناشئة من المسلمين على مشاهدة وسماع هذه الإهانات لدينهم ولقرآنهم ولرسولهم وإعتبارها تعبيراً عن الحق فى ممارسة حرية الرأى والتعبير دونما إعتبار لأى أمرٍ آخر مثلما نجحوا فى فعل ذلك مع المسيح وأمه عليهما السلام حتى صارت السُخرية منهما وإزدرائهما وتحقيرهما أموراً عادية يفعلونها فى أعمالهم الفنية القبيحة ويكتبونها فى كتاباتهم الوضيعة بغير خوفٍ من حسابٍ أو عقاب. وعلى كُلِّ مسلم معتز بدينه لا يعتبر أنَّ هذا الأمرَ فيه فساد وإفساد وإثم عظيم يتحمل وزرَه كُلُّ مَن لا يتصدى له أو يستهين به أو يُهَّون من شأنِه بأى وسيلة أن يراجعَ نفسَه مَّرةً بعد الأخرى ولا يكتفى بسَرْد تسامح الرسول مع إهانات أعدائِه ونهَى الله المسلمين عن أن يسبوا آلهة كفار الجاهلية حتى لا يسبوا الله عَدْواً بغير علم فهذا أمرُ آخر. فقياسُ ما يحدث فى هذا الشأن على غِرار ما كان يقابل به الرسول صلى الله عليه وسلم إساءات وإهانات كفار مكة بالتسامح والتجاهُل قياسُ لا يصِّح ولا يستقيم مع المنطق أو الشرع من أىِّ وجهٍ من الوجوه. فكفارُ الجاهلية و يهودِها ونصاريها كانوا بما يقولونه أو يفعلونه إنما كانوا يدافعون عن معتقداتهِم ومكانتهم وسيادتهِم أمامَ الدين الجديد الذى جاءَهم به الرسول صلى الله عليه وسلم .. فما الذى يُدافع عنه حثالاتُ وهَمَجْ الغرب الآن بما يتعمدونه مِراراً وتكْراراً من إهانة القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم ؟!. وهل يوجَد مسلم مؤمن ينقض عقيدته بالإجتراء أو بمجرد التفكير فى إهانة رَمْزى المسيحية وهما المسيح وأمه مريم عليهما السلام حتى يمكن القول بأنَّ هذه الإهانات الفاحشة البذيئة ردُ عليها ؟؟ فالأمر ليس أمر إهانةٍ وإساءةٍ وكَفى ولكنه مرةً ثانية محاولةُ أخرى لتكرار ما فعله أولياءُ الشيطان من اليهود بمسيحيى أوروبا وأمريكا والغرب عموماً بعد الحرب العالمية الثانية لتشويه عقائدهم وإبعادهم عن قيَم دينهم ودفعِهِم للإجْتراء على مقدساتهم بإهانة السيد المسيح وأمه والسخرية منهم مثلما نرى بحجة حرية الرأى والتعبير وإنتهى بهم الحال إلى هذا المآل البائس آملين فى أنْ يصبحَ هو نفس مآل المسلمين. إن هذه الحملة الممنهجة لتدمير مكانة القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم فى عقول ونفوس المسلمين هى آخر ما فى جعبتهم الشيطانية الخبيثة من سهام ويجب علينا التصدى لها بكل ما يمكننا من وسائل لأننا مسؤولون عن أبنائنا وأحفادنا وأحفاد أبنائنا .. وإذا كان كلُنا راعٍ وكلُنا مسؤول عن رعيته مثلما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أفلا يكون واجباً وفريضةً دينية على كُلِّ مسلم أنْ يحفظَ الأمانة ويفعل كُلُّ ما وَسِعَهُ الجهد لتظل على ماهى عليه ؟! فمثلما يفعل كُلُّ شخص بمحاولات تأمين المستقبل المادى لأبنائه وأحفاده أفلا يكون تأمين دينهِم وعقيدتهم من هذا الإفساد والتدمير المقصود والمتعمد لها أبْقَى وأوْلَى وأعظمَ شأناً وأهميةً فى حياتِه ؟؟.

وما يقوله البعضُ من المسلمين إمَّا يأساً أو جُبناً أو ضَعْفاً من قبيل أنَّ هذه الأفعالَ الدنيئة ضد القرآن الكريم وضد الرسول صلى الله عليه وسلم سوف تتوقف عندما يصبح المسلمون أقوياء يهابُهم الآخرون ولا يجرؤون على مهاجمة عقائدهم أمرُ فيه جانب من الصحة بالنظر إلى عالم الغاب الذى نحيا فيه والذى لا مكانَ فيه لغير الوحوش الضارية التى تفتك بفرائسها من الشعوب الضعيفة الذليلة .. ولكِنْ فى مثل ظروفنا هذه فإن ما بيننا وبين فرْض إحترامنا على الآخرين يُماثِل ما بين المشرق والمغرب من إبتعاد وإفتراق .. ولذا فلا يوجد أىُ مُبرر لقبول الدَنِّية فى الدين وفى أمرٍ لا يُقدم عليه سوى نفوس وضيعة دنيئة لا تستحق الإهتمام تتعمد إقتراف هذه الإساءات والإهانات المقصودة والمتعمدة للرسول صلى الله عليه وسلم. ويجب على كُلِّ من يُقْدِم على مثل هذه الأفعال أن يتيقَّن من أنَّ القصاصَ منه هو عقوبة شرعية سوف يُقيِّض اللهُ لإنفاذِها من يتخَيَّرْه ويُثيبُه عليه من عباده طالَ الزمن أو قَصُر .. فهذا هو الرادع النفسى الوحيد الذى قد يحولُ بين هؤلاء الجبناء وبين ما يفعلونه بعدما أيقنوا أنَّ رادع القانون لا يسرى فى غابة هذا العالم إلاَّ على الضعفاء الأذِّلاء الذين لا يملكون من أمْرِهم شيئاً. وإذا لم يُبادر أولوا الأمر إلى وقْفها بسيف القانون فسوف يُقيضُ اللهُ من عباده من يَرْدَعُها ويقضى عليها بسَيْف القصاص العادل الذى شرعه الله وهو أعدل الحاكمين مثلما قال (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب).